عصام العطار

رحيل

(شعر)

الطبعة الشبكية الثانية

صفر / ١٤٣١هجري

شباط / فبراير ٢٠١٠ ميلادي

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

جميع الحقوق محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

Copyright © 2010, I.I.D e.V.
All Rights Reserved

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

2. Auflage, 02.2010

رحيل

عصام العطار

الطبعة الثانية:

جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ

شباط/ فبراير ١٩٨٥ م

الطبعة الشبكية الثانية :

صفر ١٤٣١ هـ

شباط/ فبراير ٢٠١٠ م

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© *Islamischer Info. Dienst Verlag*

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

2. Auflage, 02.2010

أمشي إلى الغربة الحمراء من دمنا مشى الشهادة فوق الخوف والألم

رحيل

أهدي هذه الأبيات

إلى كلّ الذين اضطروني على توالي السنين

إلى الرحيل عن كلّ أرض عربية أقمت فيها

أو زرتها : لأنّي لم أتنازل عن حريتي وكرامتي

وطريقي الإسلاميّ المستقل المتميّز . .

ع. ع

رحيل

رَحَلْتُ عَـنْكُمْ عَلـيلاً نـاءَ بي سَـقَمي ... وما تَنازَلْتُ عَـن نَهْجـي وعَـنْ شَـمَمِي

أُتَـابِعُ الـدَّرْبَ لا شَـكْوى ولا خَـوَرٌ ... ولَـوْ نَزَفْـتُ علـى دَرْبِ الإبـاءِ دَمـي

لا أَخْفِـضُ الـرّأْسَ ذُلاًّ أوْ مُصَـانَعَةً ... هَيْهـاتَ هَيْهـاتَ تَـأْبَى ذاكَ لي شِـيَمي

وكيفَ أَخْفِضُ هامي -وَيْحَكُـمْ- ضَـرَعاً ... وقَدْ وَضَعْتُ علـى هـامِ الـدُّنَا قَـدَمي[1]

وآثَـرَ القَلْـبُ وِرْدَ المَـوتِ في كَـرَمٍ ... علـى حَيـاةٍ بِـلا صِـدْقٍ ولا كَـرَمِ

اللهُ حَسْـبي إذا مـا عَقَّـني بَلَـدٌ ... وضاقَتِ الأرضُ عن شَخْصي وعـن قِيَمـي

فمـا أُؤَمِّـلُ غـيرَ اللهِ مِـنْ أَحَـدٍ ... إنْ عـزَّ أمـرٌ ولا أَعْنـو لِـذِي نَسَـمِ[2]

الحَـزْنُ في حُبِّـهِ سَـهْلٌ لِسـالِكِهِ ... والخوْفُ أَمْـنٌ وبُـؤْسُ العـيشِ كـالنِّعَمِ[3]

وَأَصْـعَبُ الصَّـعْبِ في عَيْنَـيَّ أَهْوَنُـهُ ... وأَبْعَـدُ البُعْـدِ في العَينَـيْنِ كـالأَمَمِ[4]

(١) الدُّنا : جمع الدُّنْيا

(٢) عَزَّ الأمر : اشتدَّ وصَعُب . والنَّسَم : نَفَسُ الروح ، ولا أعنو لذي نسم : لا أذلّ ولا أخضع لمخلوق .

(٣) الحَزْن : ما غَلُظ وصَعُب من الأرض .

(٤) الأَمَم : اليسير القريب التناول .

لا بُـدَّ لِلَّيْـلِ أَن يَنْـزَاحَ غَيْهَبُـهُ ... ويُشْـرِقُ الفجـرُ بَعْـدَ الظُّلْـمِ والظُّلَـمِ

رَحَلْتُ فانْتَفِشُوا عُجْباً بِسُلْطَتِكُمْ ... ولا تَعُوجُوا على دِينٍ ولا ذِمَمِ[٥]

أَمْشي إلى الغُرْبَةِ الحَمْراءِ مِن دَمِنا ... مَشْيَ الشَّهادَةِ فَوْقَ الخَوْفِ والأَلَمِ

« بَنَانُ » يا جَبْهَةَ الإسلامِ دَامِيَةً ... ما زالَ جُرْحُكِ في قَلْبي نَزيفَ دَمِ[٦]

« بنانُ » يا صُورَةَ الإخلاصِ رائِعَةً ... ويا مِثَالَ الفِدَى والنُّبْلِ والكَرَمِ

« بنانُ » يا مُقْلَةً للبِرِّ ساهِرَةً ... لأَبْؤُسِ النّاسِ قَدْ ناموا ولم تَنَمِ

« بنانُ » يا مُنْتَهى الإيثارِ ما شهد الْـ... ... ...إيثارُ مِثْلَكِ في خَفْضٍ ولا عُدُمِ[٧]

تَبْكِينَ مِنْ رَحْمَةٍ بالخَلْقِ خالِصَةٍ ... وما بَكَيْتِ مِنَ الأَهْوالِ والوَصَمِ[٨]

« بنانُ » يا أُنْسَ أَيّامي التي انْصَرَمَتْ ... ولَيْسَ يومُكِ في قلبي بِمُنْصَرِمِ

ويا رفيقَةَ دَرْبي والدُّنا ظُلَمٌ ... نَشُقُّ دَرْبَ الهُدَى في حالِكِ الظُّلَمِ

ويا ثَباتَ فُؤادي في زَلازِلِهِ ... وبَلْسَمَ الجُرْحِ في نَفْسٍ وفي أَدَمِ[٩]

ويا وِقَائي إذا ما كُنْتُ في خَطَرٍ ... ويا يَميني ويا سَيْفي ويا قَلَمي

يا واحَةَ الأَمْنِ في ظِلِّ الوَفاءِ ويا ... نَبْعَ الحَنانِ وبَرْدَ السَّلْسَلِ الشَّبِمِ[١٠]

يا بَهْجَةَ الحُبِّ يا نُعْماهُ في كَبِدي ... وزَهْرَهُ الحُلْوَ في كُوخٍ وفي أُطُمِ[١١]

ويا جَنَاحِي إذا حَلَّقْتُ مُنْطَلِقاً ... يَسْمُو بنا العَزْمُ فَوْقَ النَّجْمِ والسُّدُمِ

فَارَقْتِ في صُحْبَتي الأَيّامَ وادِعَةً ... وآمِنَ العَيْش في رِفْهٍ وفي رَحِمِ[١٢]

عِشْنا شَرِيدَيْنِ عَنْ أَهْلٍ وعن وطَنٍ ... مَلاحِماً من صِراعِ النُّورِ والقَتَمِ

الشَّرْقُ والغَرْبُ إلْبٌ في خُصُومَتِنا ... أَنَّى اتَّجَهْنَا وَرَأْيٌ غَيْرُ مُنْقَسِمِ[١٣]

وأَعْبُدُ الشَّرْقِ مِنْ أَبْناءِ جِلْدَتِنا ... كأَعْبُدِ الغَرْبِ في الكُفْرانِ والظُّلَمِ[١٤]

نَلْقَى النَّوازِلَ تَنْهَدُّ الجبالُ لَها ... شُمَّ الأُنوفِ بِعَزْمٍ غيرِ مُنْهَدِمِ

وقَصْدُنا اللهُ لَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَداً ... ونَهْجُنا الحقُّ لَمْ نَرْتَبْ ولَمْ نَرِمِ[١٥]

أَلْوانُ حَرْبٍ تَقَلَّبْنَا بِجاحِمِها ... ما بَيْنَ مُسْتَعْلِنٍ مِنْها ومُنْكَتِمِ

الْكَيْـــدُ يَرْصُـــدُنا في كَـــلِّ مُنْعَطَـــفٍ والمَـــوْتُ يَرْقُبُنـــا في كَـــلِّ مُقْـــتَحَمِ

والجُرْحُ في الصَّـــدْرِ مِـــنْ أَعْـــدائِنا نَفَـــذٌ والجُرْحُ في الظَّهْرِ من صُـــدْقانِنا القُـــدُمِ(١٦)

وُمُـــدْنَفُ الجِسْـــمِ في تَرْحَالِنـــا مِـــزَقٌ علـــى الطَّريـــقِ وأَلْـــوانٌ مـــنَ السَّـــقَمِ(١٧)

حتى سَقَطْتِ علـــى دَرْبِ الجِهـــادِ ، وقَـــدْ عَزَّ النَّصـــيرُ ، بـــلا شـــكْوى ولا نَـــدَمِ(١٨)

صَـــرِيعَةً بِرَصـــاصِ الغَـــدْرِ ، خالِـــدَةً في مِسْـــمَعِ الـــدَّهْرِ ، تَـــرْتيلاً بكُـــلِّ فَـــمِ

وَبِتُّ وَحْدي على الدَّرْبِ العَتيـــدِ ، وقـــدْ غـــابَ الرَّفيـــقُ ، بجُـــرْحٍ غـــيرِ مُلْتَـــئِمِ

تَـــبَّ الجُنَـــاةُ لَقَـــدْ أَصْـــمَوْا بِخِسَّـــتِهِمْ قَلْـــبَ المُـــروءَةِ والأَخْـــلاقَ والـــذِّمَمِ(١٩)

(٥) ولا تعوجوا على دين ولا ذمم : لا ترجعوا ولا تميلوا إلى دين ولا ذمم .

(٦) بنان : الأخت الشهيدة بنان علي الطنطاوي رحمها الله ، وقد اغتالها الطغاة البغاة المجرمون في مدينة آخـــن بألمانيا الغربية في ١٩٨١/٠٣/١٧م عندما اقتحموا شقّة زوجها الأخ عصام العطار في محاولة مـــن محـــاولاتهم المتعدّدة لاغتياله والقضاء عليه ، وقد ضربوها بخمس رصاصات ؛ اثنتان منهما في جبهتها التي كانـــت شـــامخة بالإسلام في وجه الأخطار والطغيان على الدّوام .

(٧) الخَفْض : لين العيش وسعته . والعُدُم : الفقدان .

(٨) الوَصَم : الألم والمرض ، وقد عانت منهما -رحمها الله- كثيراً في غربتها وحياتها الصعبة .

(٩) البَلْسم : دواء ناجع تُضَمَّد به الجراحات . والأَدَم : الجلد .

(١٠) السَّلْسَل : الماء العذب . والشَّبِم : البارد .

(١١) الأطُم : القصر .

(١٢) الرِّفْه : طيب العيش ولينه . والرّحم : الأهل والقرابة .

(١٣) الإلْب : القوم تجمعهم عداوة واحدة .

(١٤) الظُّلُم : الظُّلْم ، وحُرِّكَتِ اللاّم إتباعاً لحركة الحرف قبلها .

(١٥) لم نَرِمِ الحقّ : لم نفارقه .

(١٦) النَّفَذ : الخَرْق ، يقال : طعنة لها نَفَذ ، أي نافذة . صُدْقان : جمع صديق .

(١٧) مُدْنَف الجسم : الجسم الذي أثقله المرض ولازمه .

(١٨) عزَّ النصير : قلَّ فلا يكاد يوجد .

(١٩) أَصمى الصيدَ : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

« بنانُ » كَمْ حُـرَّةٍ كالشَّـمْسِ طـاهِرَةٍ ... لهـا تُقـاكِ ومـا أَوْرَثْـتِ مـن شِـيَمِ

وكَـمْ فَـتىً كـانْبِلاجِ الحَـقِّ مَفْرِقُـه ... يُرْبِي على الـنَّجْمِ في هَـدْيٍ وفي شَـمَمِ[٢٠]

وكَـمْ شُـيُوخٍ وأطْفـالٍ كـأَنَّهُمُ ... طُهْـرُ المَلائِـكِ والأَزْهـارُ في الأَكَـمِ

أَرْدَاهُـمُ البَغْـيُ فالإسـلامُ في حَـزَنٍ ... يَبْكـي علـيهمْ بِمُنْهَـلٍّ ومُنْسَـجِمِ[٢١]

حُكْـمُ البُغَـاةِ ، فَـلا دِيـنٌ ولا خُلُـقٌ ... وَلا بَقِيَّـةُ إحْسـاسٍ ولا فَهَـمِ

مـا قَـارَبَتْهُمْ وُحُـوشُ الغـابِ ضَـارِيَةً ... في نَشْوَةَ الفَتْـكِ أو في خِسَّـةِ الجُـرُمِ[٢٢]

أَفْحَشْـتُ في الظُّلْـمِ إذْ قارَنْتُهـا بِهِـمِ ... أَسْتَغْفِرُ الـوَحْشَ في غـابٍ وفي أَجَـمِ[٢٣]

دَمٌ يَسـيلُ وأَعـرَاضٌ مُخَضَّـبَةٌ ... وصَـرْخَةُ اليَـأْسِ في سَـهْلٍ وفي عَلَـمِ[٢٤]

والـدِّينُ في قَبْضَـةِ الطّـاغوتِ مُـرْتَهَنٌ ... والفِكْرُ في القَيْدِ والأحـرارُ في الـرَّجَمِ[٢٥]

والسِّجْنُ بَحْرٌ مِنَ الأَهـوالِ قـدْ هَلَكَـتْ ... فِيـهِ النُّفـوسُ وأمْـواجٌ مِـنَ الأَلَـمِ

جَهَـنَّمٌ ، وعَـذَابٌ غيْـرُ مُحْتَشِـمٍ ، ... لِكُـلِّ حُـرٍّ كَـرِيمِ الـنَّفْسِ مُحْتَشِـمِ

أَنَّى اتَّجَهْـتُ فَفـي سَـمْعي مَـوَاجِعُهُمْ ... في باسِمِ الفَجْـرِ أو في عَـابِسِ الغَسَـمِ[٢٦]

نِـداؤُهُمْ في فـؤادي غَيْـرُ مُنْقَطِـعٍ ... وجُـرْحُهُمْ في ضُـلوعي غيْـرُ مُلْتَـئِمِ

عَـزَّ الرُّقـادُ فـلا نَـوْمٌ أُلُـوذُ بِـهِ ... كـأنَّ جَـنْبي إذا أَغفُـو علـى خُـذُمِ[٢٧]

فَمَـنْ يُغيـثُ ؟ أَلاَ دِيـنٌ ؟ أَلاَ خُلُـقٌ ؟ ... مَنْـذا يَكُـونُ لِمَظْلـومٍ وَمُهْتَضَـمِ ؟[٢٨]

أَيْنَ الوَشَائِجُ مِـن ديـنٍ ومِـن نَسَـبٍ ؟ ... أيـنَ الشَّـهامَةُ في عُـرْبٍ وفي عَجَـمِ

الحَـقُّ يُهْتِـفُ والإنْسـانُ في هَلَـعٍ ... والـدَّمْعُ يَنْـزِفُ والأَكْبـادُ في ضَـرَمِ

فَظَـائِعٌ مـا رَأى التّـاريخُ مُشْـبِهَهَا ... في عَـالَمِ الغـابِ أو في غَـابِرِ الأُمَـمِ

والحـاكِمونَ بِـأَرْضِ العُـرْبِ سَـمْعُهُمُ ... عـنْ مِحْنَـةِ الحَـقِّ والإنسـانِ في صَـمَمِ

عُمْـيٌ عـنِ الواجـبِ المـذْبوحِ بَيْـنَهُمُ ... وعـنْ صَـغائِرِهِمْ مـا مِـنْهُمُ بِعَـمِ

يـا لَلْمُـروءاتِ مَاتَـتْ في أَضَـالِعِهِمْ ... فَلَـيْسَ يَبْعَثُهـا شَـيْءٌ مـنَ العَـدَمِ

كـــأنَّهُمْ مـــن مَـــواتِ الحِـــسِّ ويْحَهُـــمُ ضَرْبٌ منَ الصَّخْرِ أوْ ضَرْبٌ منَ الـــرِّمَمِ[٢٩]

نُصْـــبٌ طَـــراطِيرُ أَقْـــزامٌ وإن لَبِســـوا للنّـــاسِ أُثـــوابَ هـــارونٍ ومُعْتَصِـــمِ[٣٠]

نَرى بِهِمْ كُلَّ مـــا نَشْـــكوهُ مـــن صَـــنَمٍ " ولا نُشَـــاهِدُ فِـــيهِمْ عِفَّـــةَ الصَّـــنَمِ "[٣١]

(٢٠) يربي على النجم : يزيد عليه .

(٢١) انهلّ الدمع : تساقط . وانسجم : انصبّ .

(٢٢) الجُرُم : الجُرْم ، وحرّكت الرّاء إتباعاً لحركة الجيم قبلها .

(٢٣) أفحشت في الظلم : جاوزت به الحدّ في الشناعة والقبح .

(٢٤) العلم : الجبل .

(٢٥) الرَّجَم : القبر .

(٢٦) الغَسَم : الإمساء وظلمة الليل .

(٢٧) عزّ الرقاد : صعب وامتنع وتعسَّر . الخُذُم : جمع خَذِم : السيوف القاطعة .

(٢٨) المُهْتَضَم : المظلوم المغصوب الحقّ .

(٢٩) ضرب من الصخر : صنف ونوع من الصخر . والرِّمَم : مفردها رُمة ، وهي الجثث والعظام البالية .

(٣٠) النُّصْب : جمع أنصاب وهي ما نُصِبَ وعُبد من دون الله من الأصنام والتماثيل .

(٣١) " ولا نشاهد فيهم عِفّة الصنم " هذا الشطر لأبي الطيب المتنبي .

رَحَلْـــتُ واللهُ في التَّرْحـــالِ يَصْـــحَبُني واللهُ في غُـــرْبَتي أُنْســـي ومُعْتَصَـــمي

رِسَـــالَةُ اللهِ مـــا خُنَّـــا أمانَتَهـــا ولَمْ نَبِعْهـــا لِطـــاغوتٍ ومُحْـــتَكِمِ

والمســـلمونَ وفي قلْـــبي مَـــواجِعُهُمْ آمـــالُهُمْ شُـــعْلَةٌ في خـــاطِري ودَمـــي

ومِحْنَـــةُ الحَـــقِّ والإنْســـانِ أَحْمِلُهـــا أَنَّى تَوَجَّهْـــتُ فَـــوْقَ القَهْـــرِ والـــتُّخُمِ[٣٢]

صَـــدْراً رَؤومـــاً وآلامـــاً مُبَرِّحَـــةً وثَـــوْرَةً مـــا خَبَـــتْ في الفِكْـــرِ والقَلَـــمِ

أَحْيا رُؤَى الحَـــقِّ ، أَهْفـــو في مَسَـــالِكِها وصَـــوْتُها في ضَـــميري رَجْعُـــهُ وفَمـــي[٣٣]

يَفـــيضُ مـــنْ أَمَـــلٍ قَلْـــبي ومـــنْ ثِقَـــةٍ لا أَعرِفُ اليَأْسَ والإحْبـــاطَ في غَمَمـــمِ[٣٤]

الْيَـــأْسُ في ديننـــا كُفْـــرٌ ومَنْقَصَـــةٌ ... لا يُنْبِـــتُ اليَـــأْسَ قَلْـــبُ المُـــؤْمِنِ الفَهِـــمِ

طَلاَئِـــعُ الحَـــقِّ قـــد لاحَـــتْ مَواكِبُهـــا ... نُعْمـــى لِمُهْتَضَـــمٍ بُؤْسَـــى لِمُجْتَـــرِمِ[٣٥]

طَلائِـــعٌ رَسَـــمَ الـــرَّحمنُ غَايَتَهـــا ... ودَرْبَهـــا الحُـــرَّ ، والطَّـــاغوتُ في رَغَـــمِ

إنْ مالَ مِنْ رَهَـــبٍ قَـــوْمٌ ومِـــنْ رَغَـــبٍ ... عَنْ مَهْيَـــعِ الحَـــقِّ والإســـلامِ تَسْـــتَقِمِ[٣٦]

هَيْهـــاتَ يَشْـــغَلُها إرْجـــافُ مُضْـــطَغِنٍ ... ظُلْمـــاً ، ويوهِنُهـــا تَخْـــذيلُ مُنْهَـــزِمِ[٣٧]

نَمْشي إلى الغَايَـــةِ الكُبْـــرى علـــى ثِقَـــةٍ ... عَـــزْمٌ حَدِيـــدٌ ونَهْـــجٌ غَيْـــرُ مُنْـــبَهِمِ

وأَنْفُـــسٌ قـــدْ شَـــرَاها اللهُ صـــادِقَةٌ ... أَقْـــوَى مـــنَ المَـــوْتِ والتَّشْـــريدِ والأَلَـــمِ

ما طَأْطَـــأتْ قَـــطُّ للطّـــاغوتِ صـــاغِرَةً ... خَوْفاً وعَجْزاً وما أَلْقَـــتْ يَـــدَ السَّـــلَمِ[٣٨]

لنْ يَغْلِبَ الحَـــقَّ طَـــاغوتٌ فـــلا تَهِنُـــوا ... ولـــو تَسَـــلَّحَ بـــالأفْلاكِ والـــرُّجُمِ[٣٩]

اللهُ أكـــــبرُ والأَقْـــــدارُ ماضِـــــيَةٌ ... أيـــنَ الطَّواغِيـــتُ مِـــنْ عـــادٍ ومـــنُ إرَمِ ؟

سَنَصْـــدَعُ الليـــلَ مَهْمَـــا اشْـــتَدَّ غَيْهَبُـــهُ ... ونَحْمِـــلُ الفَجْـــرَ لِلإنســـانِ والأُمَـــمِ

فَجْـــرٌ مـــنَ العَـــدْلِ والإســـلامِ مُؤْتَلِـــقٌ ... نُهـــدي سَـــنَاهُ لأَهْـــلِ الأرضِ كُلِّهِـــمِ

(٣٢) التُّخُم : جمع تُخوم ، وهي الفواصل بين الأرضين من معالم الحدود .

(٣٣) هفا في المشي : أسرع وخفَّ فيه ، وهفا الطائر : خفق بجناحيه وطار ، وهفت النفس إلى الشيء : حنّت واشتاقت أو طربت .

(٣٤) الغَمَم : جمع غُمَّة ، وهي الهمّ والحزن .

(٣٥) المُهْتَضَم : المظلوم المغصوب الحقّ . والمُجْتَرِم هنا : مرتكب الجريمة .

(٣٦) مَهْيَع الحق والإسلام : طريقه العريض البيّن .

(٣٧) أَرْجَفَ : خاض في الأخبار المختلقة الكاذبة السّيئة والفتن ، والمُضْطَغِن : المنطوي على الحقد .

(٣٨) السَّلَم : الاستسلام ، والتسليم ، والأسر من غير حرب . وألقت يد السلم : استسلمت وانقادت .

(٣٩) الأفلاك : مفردها فلك ، وهو مدار النّجوم . والرُّجُم : الشهب ، وهي ما يظهر في السّماء كأنّه نجوم تتساقط .